الفصل الرابع
الأحزاب السياسية[1]

عند دراسة النظم السياسية لابد من الوقوف عند القوى السياسية والمنظمات الفاعلة في المجتمع والمؤثرة في صنع القرار . وتتعدد هذه القوى في الدولة الحديثة مع تباين في وجودها ودورها من دولة لأخرى. وتعد الأحزاب السياسية من أهم القوى التي كان لها دوراً مؤثراً في النظم السياسية ولازال . حتى نادى بعض الفقه بضرورة إعادة النظر بالتقسيم التقليدي للنظم السياسية والذي يميز بين صور ثلاث (الرئاسي . البرلماني . المجلسي) والأخذ بتقسيم جديد يقوم على أساس النظام الحزبي[2]. وذهب رأي آخر إلى (إنّ الأحزاب السياسية هي التي خلقت الديمقراطية . وإنّ الديمقراطية الحديثة لا يمكن التفكير فيها إلا بمفاهيم الأحزاب . فالواقع إنّ حالة الأحزاب هي أفضل دليل ممكن على طبيعة أي نظام . وأهم تمييز في الفلسفة السياسية الحديثة بين الديمقراطية والدكتاتورية يمكن أن نجده في مفاهيم السياسة الحزبية . إذن فليست الأحزاب مجرد زعانف للحكومة الحديثة . وإنما هي منها مثل القلب . وتلعب فيها دوراً حاسماً وخلاقاً) [3].

وقد يرى البعض مغالاة في هذا الرأي . إلا إنه يعبر في الحقيقة عن الدور المؤثر للأحزاب السياسية في الحكومات الحزبية بصرف النظر عن كونها ديمقراطية ام دكتاتورية . وسنتناول في بحثنا لموضوع الأحزاب السياسية . نشأتها.تعريفها.عناصرها وأنواع النظام الحزبي .

المبحث الأول
مفهوم الأحزاب السياسية (التعريف والنشأة)

المطلب الأول
تعريف الحزب السياسي

إنّ ظاهرة الإختلاف السياسي والإجتماعي والثقافي بين أفراد المجتمع تعد من البديهيات . وذلك يؤدي إلى قيام جماعات من الأفراد ذات مصالح معينة للدفاع عن تلك المصالح . وكذلك تحديد الوسائل التي تستطيع من خلالها الدفاع عن حقوقها ومصالحها ومن ثمّ تحقيق أهدافها . وهذا ما يلاحظ بجلاء في الجمعيات والإتحادات المهنية (كنقابة الأطباء. المحامين . المعلمين . العمال. الفلاحين...إلخ) ولا شك في أن الوسائل ألتي تستخدمها تلك الجماعات تتباين فيما بينها وذلك إنسجاماً مع طبيعة تكوين تلك الجماعات ومدى تأثيرها في المجتمع . وقد يتفق جماعة من الأفراد على إقامة تنظيم سياسي للدفاع عن مصالحهم وتحقيق الأهداف ألتي

١ إنظر في ذلك : موريس ديفرجيه . الأحزاب السياسية . ترجمة علي مقلد وعبد الحسن سعد . الطبعة الثالثة . بيروت ١٩٨٠ . د.شمران حمادي . الأحزاب السياسية والنظم الحزبية .بغداد.١٩٧٢.اوستن رني .مصدر سابق.ص ص١-٤٣. د.صالح جواد الكاظم .مصدر سابق . ص٩٣وما بعدها.د.إبراهيم درويش.النظام السياسي. القاهرة١٩٧٨.ص١٥١ومابعدها.

٢ ديفرجيه . المصدر السابق. ص٣٥٥.

٣ اوستن رني . المصدر السابق.ص١ والمصادر ألتي أشار إليها.

يسعون إليها من خلال المشاركة في السلطة وهذا ما سيؤدي إلى ظهور الحزب السياسي . فما هو الحزب السياسي ؟ .

لم يتفق الكُتّاب على تعريف جامع مانع للحزب السياسي . وذلك لإختلافهم في تحديد العنصر الأساسي الذي يقوم عليه الحزب . ولذلك يلاحظ تعدد التعريفات وتنوعها مع إتفاق الجميع على أنّ الهدف الأساسي لأي حزب الوصول إلى السلطة. إلا إنهم إختلفوا في الوسيلة فمنهم من يشترط إتباع الوسائل الدستورية دون غيرها وآخر لا يعير أهمية لنوع الوسيلة التي توصل إلى الهدف (الإستيلاء على السلطة) سواء كانت دستورية أو غير دستورية .

ومن التعاريف الشائعة للحزب تعريف (إدموند بيرك Burke Edmund) والذي عرّف الحزب بإنه (مجموعة من الأفراد متحدين بمسعاهم الموحد مستهدفين تحقيق الصالح العام على أساس مبادئ موحدة إتفقوا عليها)[1]. ويلاحظ على هذا التعريف إنه أعطى الأولوية للمبادئ التي يؤمن بها أعضاء الحزب. ويحاول التمييز بين (الحزب) و (العصبة) . وذلك على أساس الهدف الذي يسعى لتحقيقه كل منهما . فالعصبة تسعى إلى تحقيق المصالح الشخصية فهي (عمل سيئ) في تقديره . في حين إنّ الحزب يسعى إلى تحقيق الصالح العام ولذلك فهو (عمل جيد) في نظره . [2] وهذا القول لا يمكن قبوله على إطلاقه لأن للحزب والعصبة مصالح شخصية وكذلك لهم قيم ومبادئ تهدف إلى خدمة الصالح العام.

هذا ويتجه الكثير من الفقه الليبرالي الغربي إلى ربط وجود الحزب بالسعي إلى السلطة عن طريق الوسائل الدستورية حيث عرفه (سارتوري) إنه (جماعة سياسية تتقدم للإنتخابات . وتكون قادرة على أن تقدم من خلال تلك الإنتخابات مرشحين للمناصب العامة) [3]. وعرفه اوستن رني بأنه (جماعة منظمة ذات إستقلال ذاتي تقوم بتعيين مرشحيها . وتخوض المعارك الإنتخابية على أمل الحصول على المناصب الحكومية والهيمنة على خطط الحكومة)[4].

وعلى عكس الكتاب الليبراليين يرى منظرو الفكر الإشتراكي والكتاب المؤيدين لهم ضرورة ربط الحزب بالطبقة ويذهب (ستالين) في محاضرة له عنوانها مفهوم الحزب إلى بيان خصائص الحزب الثوري ويحددها بالآتي (الحزب فصيلة الطليعة من الطبقة العاملة وهو جزء غير قابل للإنفصال عن الطبقة العاملة. والحزب فصيلة منظمة من الطبقة العاملة . إلا إنه ليس المنظمة الوحيدة للطبقة العاملة .

فالبروليتاريا تملك أيضاً سلسلة كاملة من المنظمات الأخرى التي لا تستطيع بدونها أن تناضل بنجاح ضد الرأسمال . إلا أنّ الحزب هو الشكل الأعلى لتنظيم طبقة البروليتاريا وهو الذي يعين الإتجاه العام الذي ينبغي على المنظمات جميعاً أن تتبعه في عملها. لذا فالنظرية الإنتهازية عن (إستقلال) المنظمات الا حزبية و (حيادها) تلك النظرية التي تؤدي إلى تكاثر عدد البرلمانيين المستقلين . والصحفيين غير المرتبطين بالحزب . والنقابيين الضيقي الأفق . وأعضاء التعاونيات المتبرجزين . تتنافى كل التنافي مع النظرية اللينينية وممارستها. والحزب هو أداة دكتاتورية البروليتاريا . فهو العامل القيادي الأساس داخل طبقة البروليتاريين وبين منظمات هذه الطبقة . وهو أداة في يد البروليتاريا لأجل تحقيق الدكتاتورية عندما لا تكون محققة بعد . ولأجل توسيع الدكتاتورية وترسيخ حكمها بعد أن تكون قد تحققت . إنّ الحزب ضروري

١ د.إبراهيم درويش.مصدر سابق. ص١٥٨.
٢ نفس المصدر.ص١٥٨.
٣ د.صالح جواد الكاظم.مصدر سابق.ص-١١.
٤ أوستن رني.مصدر سابق.ص٣.

للبروليتاريا قبل كُل شيء.كهيئة أركان للكفاح لا غنى عنها للإستيلاء الظافر على السلطة. والحزب وحدة إرادة تتنافى ووجود التكتلات . ويتقوى بتطهير نفسه من العناصر ألإنتهازية)[1].

ويبدو مما تقدم إن معظم ألأحزاب الشيوعية وغيرها من ألأحزاب ألتي توصف (بالثورية) تعتمد إسلوب القوة للإستيلاء على السلطة. وهو ما يتنافى وخصائص الدولة القانونية ألتي توجب إعتماد القواعد الدستورية في الوصول إلى السلطة. ومن ثم لا مفر من إعتبار تلك ألأحزاب أو التنظيمات خارجة عن القانون ولا تتسم بالشرعية إذا ما قامت دون ترخيص من الجهات المختصة في الدولة .

وتأسيسا على ما تقدم سنتبنى التعريف ألذي يعتمد ألأساليب الدستورية للوصول إلى السلطة . وعليه يمكننا تعريف الحزب بأنه جماعة من ألأفراد تربطهم مصالح ومبادئ مشتركة . في ظل إطار منظم . لغرض الوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها لتحقيق أهدافهم خدمة للصالح العام ومن خلال الوسائل الدستورية.

المطلب الثاني
نشأة الأحزاب السياسية

تتباين ألأحزاب السياسية في طريقة نشأتها تبعاً للعوامل السياسية والإجتماعية والثقافية وألإقتصادية التي كانت سائدة في البلد الذي ظهرت فيه . وهذا يعني إن نشأة الحزب تتأثر إلى حد كبير بالبيئة الحاضنة له . فليس من السهل فهم بنيان حزب سياسي معين في الوقت الحاضر وأوجه إختلافه عن ألأحزاب ألأخرى مالم نحط علماً بألأسباب والعوامل ألتي دفعت بهِ إلى الوجود [2]. ومعرفة تلك العوامل وألأسباب لا تتأتى إلا من خلال دراسة نشأة ألأحزاب السياسية إذ تساعدنا إضافة إلى ما تقدم في تحديد أنواعها وأسباب تعددها ومن ثم معرفة النظم الحزبية للدول معرفة دقيقة[3].

وألأحزاب بمفهومها الحديث ظاهرة جديدة بدأت في القرن التاسع عشر . إلا أن ذلك لا ينفي وجود تجمعات فكرية أو سياسية (الكتل البرلمانية) أو وجود نوادي شعبية قبل ذلك . إلا إنها لا ترقى إلى مفهوم الحزب[4].

ويبدو إن ظهور ألأحزاب وتطورها إرتبط إرتباطاً وثيقاً بشيوع المبادئ الديمقراطية كالأخذ ببدأ ألإقتراع العام في إختيار أعضاء المجالس النيابية مما أدى إلى إزدياد نفوذها بإعتبارها الجهة التي تمثل الشعب وتنوب عنه في تولي مظاهر السيادة . وهذا ما دفع أعضاء هذه المجالس إلى إقامة تكتلات برلمانية تبعاً للإنسجام والتجانس بغية العمل بصورة جماعية. ولعل أهم ألأسباب ألتي كانت تدفع إلى قيام الكتل البرلمانية حينذاك هي. المصالح ألإقليمية . العقيدة .

١ إقتباس من محاضرة ألقاها (جوزيف ك.ستالين) ألأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي ألأسبق . راجع في ذلك . في التنظيم الثوري . ترجمة جورج طرابشي . بيروت ١٩٦٩ ص ص ٧٠-٨٨.

٢ د.صادق ألأسود .علم الإجتماع السياسي.بغداد.١٩٨٦.ص٣٢.

٣ د.شمران حمادي. مصدر سابق.ص٧.

٤ ديفرجيه .مصدر سابق.ص١.

والمصالح المهنية. إذ لا يخفى إن قيام بعض الكتل كان يهدف إلى الدفاع عن مصالحها البرلمانية شأنها في ذلك شأن أي نقابة.ومن البديهي أن تهتم الكتل بإعادة أنتخاب أعضائها في الدورات البرلمانية القادمة . أو السعي للحصول على حقيبة وزارية ([1]).

وعلى أية حال يمكن القول إن وجود المجالس النيابية أدى إلى ظهور الكتل البرلمانية والتي تعتبر النواة الأساسية لنشأة الكثير من الأحزاب في دول العالم وبالأخص في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية كان هناك تكتلان في المجلس النيابي في بداية نشأتها وهما الإتحاديون بزعامة (جورج واشنطن) والجمهوريون بزعامة (جيفرسون ومادسيون). وكان التكتل الأول يقف ضد فكرة الحزبية ويضع القيود على تشكيل النوادي والجمعيات في حين كان قادة التكتل الثاني يعارضون ذلك الموقف.

وفي عام ١٨٠٠ وبعد فوز (جيفرسون) في الأنتخابات الرئاسية بدأ يترسخ حق المعارضة المتجسدة في أحزاب([2]).إلى أن أصبح النظام الحزبي مستقراً في الولايات المتحدة الأمريكية وأصبح لها دوراً مؤثراً في إنتخاب أعضاء الكونجرس ورئيس الدولة.

وفي بريطانيا ظهرت كتلتان في البرلمان البريطاني في بداية القرن التاسع عشر هما . الأحرار(Whigs) والمحافظين (Tories)وكان لهما تأثيراً على سياسة إنجلترا وتوجيهها . وقد تحولت هاتان الكتلتان إلى حزبين في بداية القرن العشرين حيث صارت الأولى (حزب الأحرار) والثانية (حزب المحافظين)([3]).

وفي فرنسا نشأ عدد من الكُتل والإتجاهات بعد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ في الجمعية العمومية . وقد ظهرت عدة كتل تحمل أسماء الأماكن التي تجتمع فيها مثل (اليعاقبة) و (الجيروندين) وكان إهتمام هذه التكتلات في البدأ ينصب على القضايا الإقليمية. ثم تحول إلى القضايا الأساسية التي تتعلق بالسياسة الوطنية([4]). فضلاً عن الأهداف البرلمانية. ويلاحظ إنّ الترشيح للبرلمان كان يتم أما بمبادرة شخصية من قبل المرشح نفسه . أو تحت رعاية لجان محلية كانت تشكل لهذا الغرض.

ولم تظهر الأحزاب بالمفهوم العصري لها إلا في بداية القرن العشرين. وإذا كانت هناك بدايات للتنظيم الحزبي قبل ذلك فقد كانت غير فعالة في الجمعية العمومية وبدائية في خارجها([5]).

وإضافة إلى الكتل البرلمانية كان للجان الإنتخابية دوراً أيضاً في نشأة الأحزاب . وقد إرتبط ظهور اللجان إلى حد كبير بتوسيع قاعدة الناخبين والأخذ بمبدأ الإقتراع العام . حيث أدى الأخذ به إلى نمو الأحزاب الإشتراكية في بداية القرن العشرين في معظم البلدان الأوربية. وبعد أن إستقر وجود الكتل البرلمانية واللجان الإنتخابية كان لابد من قيام تنسيق وروابط منتظمة

---

١ ديفرجيه ،مصدر سابق،ص٨.

٢ د.صالح جواد الكاظم،مصدر سابق،ص٩٥. د.عفيفي كامل عفيفي،مصدر سابق،ص٢١٦ وما بعدها.

٣ انظر تفاصيل ذلك د.عفيفي كامل عفيفي،مصدر سابق،ص١٦٨ وما بعدها.

٤ نفس المصدر،ص ٣١١.

٥ د.صالح جواد الكاظم،مصدر سابق،٩٦.

بينهما مما سيؤدي إلى نشأة حزب حقيقي[1].

ومن الجدير بالملاحظة إن الكتل البرلمانية واللجان ألإنتخابية لم تكن هي ألإسلوب الوحيد ألذي ساعد على ظهور ألأحزاب. وإنما هناك منظمات أخرى ساعدت على نشأتها ومن هذه المنظمات النقابات والجمعيات الفكرية ومنظمات الشباب . وقد قامت النقابات بدور كبير في نشأة الكثير من ألأحزاب ألإشتراكية . مثال ذلك حزب العمال البريطاني الذي يعود الفضل في ظهوره إلى نقابات العمال وإلى الجمعية الفابية. وهذا ما ينطبق على ألأحزاب الفلاحية أيضاً والتي نشأت في الدول ألإسكندنافية وفي سويسرا وأستراليا وكندا حيث كانت الجمعيات الفلاحية الداعم الرئيسي لظهور تلك ألأحزاب.

أما بالنسبة للجمعيات والمنظمات الدينية فقد كانت وراء قيام الكثير من ألأحزاب الدينية المسيحية في بعض الدول ألأوربية كالحزب الكاثوليكي في هولندا. فرنسا. بلجيكيا . ألمانيا . سويسرا وإيطاليا [2]. وإضافة إلى ما تقدم هناك أسباب أخرى

أدت إلى نشأت أحزاب وحركات سياسية وذلك حسب ظروف ولادة الحزب او الحركة والاهداف التي يسعى إلى تحقيقها. فهناك أحزاب إتسم نشاطها بالسرية. وهي وإن كانت ذات أهداف سياسية إلا إنها لا تعمل على الصعيد ألإنتخابي أو البرلماني. أما لأنها ممنوعة بموجب أحكام القانون أو لأنها لا تؤمن بألإسلوب السابق. مثال ذلك الحزب الشيوعي في روسيا قبل قيام الثورة سنة ١٩١٧. حيث كان هدف الحزب إسقاط النظام ألإستبدادي في روسيا وإقامة نظام سياسي يعتمد ألأيديلوجية الماركسية. إلا إنه تحول إلى العمل العلني بعد نجاح الثورة وإستيلاء الحزب على مقاليد السلطة وإن ظل متمسكا إلى حد ما بسياقات العمل التنظيمي ألتي كانت متبعة قبل الوصول إلى السلطة.

وفي بعض الحالات ينشأ الحزب ويكون هدفه ألأول مقاومة ألإحتلال وتحرير البلاد من الهيمنة ألإستعمارية. وهذا ما لوحظ في كثير من دول العالم الثالث ألتي كانت تعاني من ألإحتلال ألأجنبي. حيث كانت معظم الحركات وألأحزاب السياسية تسعى إلى الحصول على ألإستقلال والتخلص من التبعية ألإستعمارية. ومثال ما تقدم نشأة حزب (المؤتمر الوطني) في الهند سنة ١٨٨٥ حيث نشأ عندما كانت الهند تعاني من ألإحتلال البريطاني وكان له الدور الكبير في حصول الهند على ألإستقلال.

وما ذكر بخصوص الهند يمكن ملاحظته على نشأة ألأحزاب ألأخرى في القارات الثلاث بشكل عام. حيث ولدت أحزاب سياسية في أفريقيا من أجل الخلاص من ألإستعمار ألأوربي. خاصة بعد الحرب العالمية الثانية. وقد كان لهذه ألأحزاب الدور القيادي المؤثر في الخلاص من الهيمنة ألإستعمارية. ومثال ذلك (مؤتمر حزب الشعب) في غانا و(الحزب الديمقراطي لغينيا) في غينيا و(حزب تانو) في تنزانيا وحزب (كانو) في كينيا[3].

---

١ ديفرجيه.مصدر سابق.ص١٢.

٢ أوستن رني.مصدر سابق.ص٢٦ .ديفرجيه.مصدر سابق.ص١٢ وما بعدها.

٣ د.حورية توفيق. نظام الحزب الواحد في أفريقيا١٩٨٨.ص١٧. د.صالح جواد الكاظم.مصدر سابق. ص٩٨.